المكتبة الخضراء للأطفال

١٧

المغامر الجريء

يقلم: عادل الغضبان

الطبعة السابعة عشرة

دار المعارف

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الغضبان ، عادل .
في جزيرة النور / بقلم عادل الغضبان . – ط ٠٧
– القاهرة :دار المعارف ، ٢٠٠٦
٤٨ص ؛ ٢٤x١٧ سم . – (المكتبة الخضراء للأطفالx ١٧)
تدمك : ٢ – ٦٩٢١ ٠٢ – ٩٧٧
١ – القصص العربية
٢– قصص الأطفال

ديوى ٨١٣,٠٢

رقم الإيداع ٢٠٠٦/٤٨٠٢ ٧/٢٠٠٦/٠٥

الناشر : دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل . القاهرة ج.م.ع.
هاتف ٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

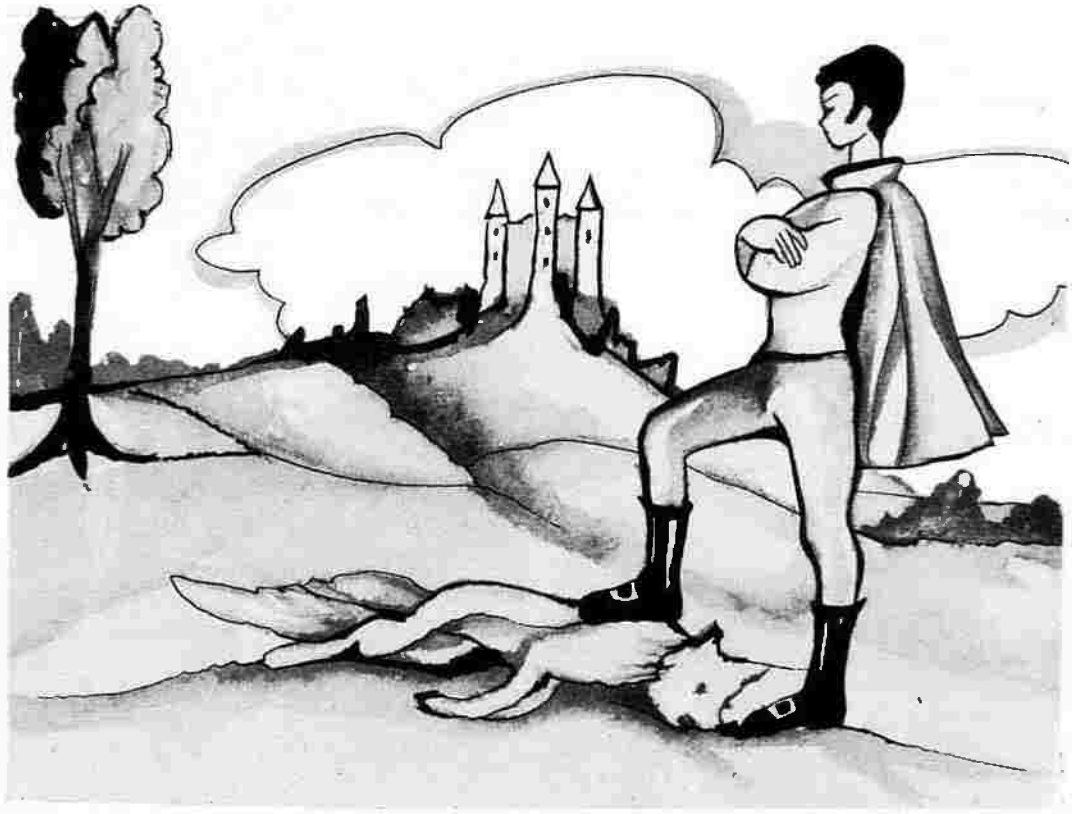

كَانَ فِي سَالِفِ الزَّمَان ، عَظِيمٌ مِنَ الْعُظَمَاءِ يَعِيشُ فِي قَرْيَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ شَاطِئِ الْبَحْر ، وَيَمْتَلِكُ فِيهَا الْمَزَارِعَ الْوَاسِعَةَ الْجَمِيلَة .

وَكَانَ لِهذَا الْعَظِيم ابْن بَهِيُّ الطَّلْعَة ، ذَهَبِيُّ الشَّعْر ، مَمْشُوقُ الْقَامَة ، مَفْتُولُ السَّاعِدَيْنِ اسْمُهُ " أَنْوَر " ، وَلكِنَّ أَهْلَ الْقَرْيَةِ أَضَافُوا إِلَى اسْمِهِ لَقَبَ " شُجَاع " ، فَقَدْ رَأَوْهُ يَوْمًا وَهُوَ

بَعْدُ فِي الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مَنْ عُمْرِهِ ، يَهْجُمُ عَلَى ذِئْبٍ ضَخْم ، وَيَكِيلُ لَهُ الضَّرَبات بِفَأْسٍ كَانَتْ فِي يَدِه ، حَتَّى سَقَطَ الذِّئْبُ قَتِيلاً .

لَبِسَ أَنْوَرُ ذَاتَ صَبَاحٍ مَلابِسَ السَّفَر ، وَدَخَلَ عَلِى وَالِدِه، وَرَكَعَ أَمَامَهُ وَقَال :

– " يَا سَيِّدِي وَأَبِي ! لَقَدْ بَلَغْتُ الْيَوْمَ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِي ، وَأَوَدُّ لَوْ أُجَرِّبُ حَظِّي فِي الْحَيَاة ، فَأْذَنْ لِي فِي الرَّحِيل مُزَوَّدًا بِبَرَكَتِك " .

فَأَثَّرَ هذَا الْكَلامُ فِي نَفْسِ أَبِيه ، وَلكِنَّهُ كَتَمَ شُعُورَهُ وَقَال :

– " إِنَّكَ لَعَلَى حَقٍّ يَا وَلَدِي ، فَمَا كَنْتُ لأَحُولَ دُونَ رَغْبَتِكَ وَطُمُوحِك ، فَسِرْ تُرَافِقْكَ بَرَكَتي وَدَعَوَاتِي " .

تَهَلَّلَ وَجْهُ أَنْوَر سُرُوراً ، وَوَدَّعَ الأَهْلَ وَالأَتْبَاع ، ثُمَّ غَادَرَ

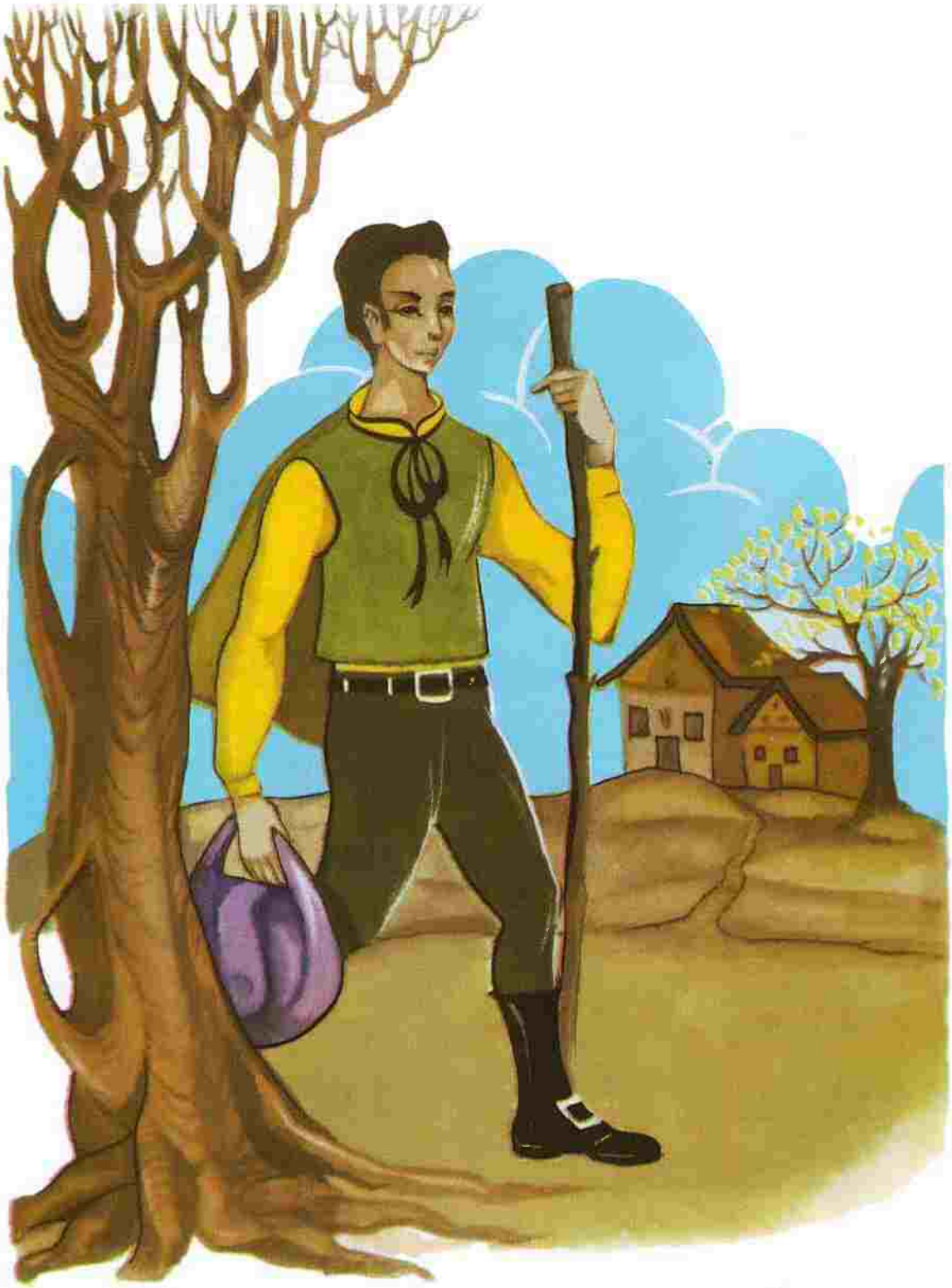

الْقَصْر ، وَانْطَلَقَ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ مُبْتَهِجَ الْفُؤَاد .

وَاسْتَمَرَّ يَسِيرُ فِي رِحْلَتِهِ مُتَنَقِّلاً مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ مُدَّةَ ثَلاثِ سَنَوات ، وَلَمْ تَخْلُ رِحْلَتُهُ هذِهِ مِنْ أَشْرَارٍ تَعَرَّضُوا لَهَ ، وَدَخَلَ مَعَهُمْ فِي صِرَاعٍ خَرَجَ مِنْهُ تَارَةً غَالِباً وَطَوْراً مَغْلُوباً .

وَاتَّفَقَ لَهُ أَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ يَوْماً الاِشْتِرَاكُ فِي حَمْلَةٍ بَحْرِيَّة، هَدَفُهَا تَأْدِيبُ جَمَاعَةٍ مِنْ لُصُوصِ الْبِحَار ، فَقَبِلَ رَاضِياً ، وَاتَّخَذَ مَكَانَهُ مِنَ السَّفِينَة ، فَسَارَتْ لَيْلاً تَمْخُرُ عُبَابَ الْمَاء، فِي رِيحٍ هَادِئَة ، وَمَوْجٍ سَاكِن ، وَسَمَاءٍ مُرَصَّعَةٍ بِالنُّجُوم ، وَلكِنْ أَظْلَمَ الْجَوُّ فَجْأَة ، وَعَصَفَتِ الرِّياح ، وَثَارَتِ الزَّوَابِع ، فَارْتَطَمَتِ السَّفِينَةُ بِصَخْرَةٍ كَبِيرَةٍ كَسَرَتْ أَلْوَاحَهَا ، وَحَطَّمَتْ هَيْكَلَها ، فَابْتَلَعَهَا الْبَحْرُ بِمَنْ عَلَيْهَا .

أَمَّا صَاحِبُنَا أَنْوَر ، فَقَدْ قَذَفَتْ بِهِ الأَمْوَاجُ إِلَى سَطْحِ الْبَحْر ،

٧

فَسَبَحَ وَسَبَحَ عَلَى غَيْرِ هُدىً ، وَلاحَتْ لَهُ بُقْعَةُ سَوْدَاءُ غَيْرُ بَعِيدَةٍ مِنْه ، وَكَانَتْ إِحْدَى الْجُزُر ، فَاسْتَجْمَعَ قُوَاهُ وَنَزَلَ بِالْجَزِيرَة ، وَهُوَ يَجُرُّ قَدَمَيْهِ جَرًّا مِنْ شِدَّةِ الإِرْهَاقِ وَالإِعْيَاء ، وَارْتَمَى عَلَى رَمْلِهَا النَّاعِم ، وَنَامَ نَوْماً عَمِيقاً .

* * *

صَحَا أَنْوَر فِي الصَّبَاح ، وَأَخَذَ يُجِيلُ بَصَرَهُ فِي الْبُقْعَةِ التَّي رَمَاهُ الْقَدَرُ إِلَيْهَا ، فَرَأَى عَلَى مَرْمَى الْبَصَر ، بَيْتاً كَبِيراً تَبْدُو فِيه نَوَافِذُ عَالِيَة ، لا يَقِلُّ ارْتِفَاعُ كُلِّ نَافِذَةٍ مِنْهَا عَنْ خَمْسَةَ

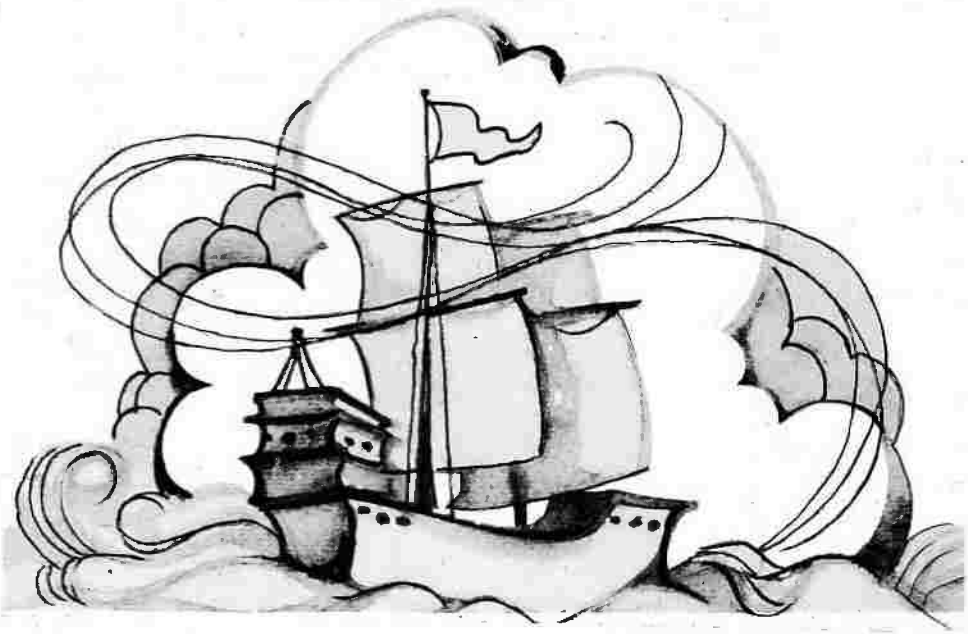

عَشَرَ مِتْراً ، فَمَشَى إِلَيْهِ وَقَرَعَ الْبَابَ ، فَسَمِعَ صَوْتاً مِثْلَ خُوَارِ الثَّوْرِ يَقُول :

– " أُدْخُلْ " .

وَعَلَى الأَثَرِ فُتِحَ الْبَاب ، وَدَخَلَ مِنْهُ أَنْور ، وَوَجَدَ نَفْسَهُ إِزَاءَ عِمْلاقٍ [1] يَبْلُغُ طُولُهُ عَشْرَةَ أَمْتَارٍ ، وَسَمِعَهُ يَقُولُ لَه :

– " مَا اسْمُك ؟ وَمَاذَا جِئْتَ تَفْعَلُ هُنَا ؟ "

فَنَظَرَ إِلَيْهِ أَنْورَ نَظْرَةَ الْمُتَحَدِّي وَقَال :

– " اِسْمِي أَنْوَر الشُّجَاع ، وَقَدْ جِئْتُ أَبْحَثُ عَنِ الثَّرْوَةَ " .

فَقَالَ لَهُ الْعِمْلاقُ هَازِئاً سَاخِراً :

– " إِنَّ ثَرْوَتَكَ مَضْمُونَةُ عِنْدِي يَا أَنْوَرُ الشُّجَاع ، فَأَنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى خَادِمٍ ، فَتَسَلَّمْ عَمَلَكَ فِي الْحَال ... إِنَّها السَّاعَةُ الَّتِي أَقُودُ فِيهَا قَطِيعِي إِلَى الْمَرْعَى ، فَعَلَيْكَ فِي أَثْنَاءِ غِيابِي أَنْ

---

(١) العملاق : إنسان يفوق جنسه في الطول والضخامة .

تُنَظِفَ الإِسْطَبْل ، وَحَاذِرْ أَنْ تَدْخُلَ غُرَفَ الْمَنْزِلِ فَفِي ذلِكَ هَلاكُك ! ”

فَكَّرَ أَنْوَرُ بَعْدَ ذَهَابِ الْعِمْلاقِ وَقَال لِنَفْسِه : مَاذَا لَوْ زُرْتُ غُرَفَ الْبَيْتِ أَوَّلاً ؟ لابُدَّ أَنَّ فِيهَا أَشْياءَ مُمْتِعَةً يُرِيدُ أَنْ يُخْفِيَهَا عَنّي !

فَدَخَلَ الْغُرْفَةَ الأُولَى ، فَوَجَدَ فِيهَا مَوْقِداً كَبِيراً فَوْقَهُ قِدْرُ تَغْلِي وَلا نَارَ فِي الْمَوْقِدِ فَقَال : مَا هذَا ؟ إِنَّ فِي الأَمْرِ لَسِرًّا ! فَجَزَّ خُصْلَةً مِنْ شَعْرِهِ وَغَمَسَهَا فِي السَّائِلِ الَّذِي فِي الْقِدْرِ وَأَخْرَجَهَا ، فَإِذَا هِيَ قَدِ اسْتَحَالَتْ إِلَى لَوْنِ النُّحَاس ، ثُمَّ دَخَلَ الْغُرْفَةَ الثَّانِيَةَ ، فَرَأَى فِيهَا مَا رَآهُ فِي الْأُولَى مِنْ مَوْقِدٍ كَبِير ، وَقِدْرٍ فَوْقَهُ يَغْلِي السَّائِلُ فِيهَا غَلَيَاناً ، وَلا نَارَ تَحْتَهَا ، فَغَمَسَ خُصْلَةَ الشَّعْرِ فِي ذلِكَ السَّائِلِ وَأَخْرَجَهَا ، فَإِذَا هِيَ بِلَوْنِ الْفِضَّة ، وَهكَذَا فَعَلَ فِي الْغُرْفَةِ الثَّالِثَةِ ، وَكَانَتْ تَحْتَوِي

عَلَى مَا تَحْتَوِيهِ الْغُرْفَتَانِ الْأولَيَان ، وَلكِنَّ خُصْلَةَ الشَّعْرِ قَدْ تَحَوَّلَتْ فِي هذِهِ الْمَرَّةِ إِلَى لَوْنِ الذَّهَب ، فَضَحِكَ وَقَالَ : مَنْ يَدْرِي لَعَلَّ السَّائِلَ فِي قِدْرِ الْغُرْفَةِ الرَّابِعَة ، يَكُونُ مِنْ عَصِيرِ الْأَلْمَاس ، فَدَخَلَهَا وَوَقَفَ عِنْدَ عَتَبَةِ الْبَابِ مَبْهُوتاً ، فَقَدْ وَقَعَتْ عَيْنُهُ فِيهَا عَلَى فَتَاةٍ رَائِعَةِ الْجَمَالِ ، نَظَرَتْ إِلَيْهِ فِي شَفَقَةٍ وَأَسَفٍ وَقَالَتْ لَه :

– ” مَاذَا جِئْتَ تَعْمَلُ هُنَا يَا مِسْكِين ؟ ” فَقَال :

” أَلْحَقَنِي فِي هذَا الصَّبَاحِ رَبُّ هذَا الْبَيْتِ بِخِدْمَتِه ، وَحَصَرَ عَمَلِي فِي تَنْظِيفِ الْإِسْطَبْل ، وَمَا هُوَ بِالْأَمْرِ الْعَسِير ” فَقَالَت :

– ” كَانَتِ السَّمَاءُ فِي عَوْنِكَ فَمَا إِلَى تَنْظِيفِهِ مِنْ سَبِيل ، فَكُلُّ مِقْدَارٍ مِنَ الزِّبْلِ تُخْرِجُهُ مِنَ الْبَابِ يَرْجِعُ عَشْرَةُ أَضْعَافِهِ مِنَ الشُّبَّاك ، وَلكِنْ سَأَهْدِيكَ إِلَى طَرِيقَةٍ تَنْتَصِرُ عَلَى السِّحْرِ الْمَعْقُودِ فِي هذَا الْإِسْطَبْلِ : اُكْنُسْ أَرْضَهُ بِمِقْبَضِ الْمِكْنَسَةِ ، يَنْدَفِعِ الزِّبْلُ دَفْعَةً وَاحِدَةً إِلَى الْخَارِج ” .

فَشَكَرَهَا أَنْوَر عَلَى نَصِيحَتِهَا ، وَجَلَسَ إِلَيْهَا يُبَادِلُهَا الْحَدِيث .

وَكَانَتْ هذِهِ الْفَتَاةُ ابْنَةَ جِنِّيَّةٍ اسْتَطَاعَ الْعِمْلاقُ الشِّرِّيرُ أَنْ يَأْسِرهَا ، فَلَمْ يَمْضِ عَلَى أَنْوَر وَكَرِيمَة (وَهذَا اسْمُ الْفَتَاة) غَيْرُ دَقَائِقَ قَلِيلَة ، حَتَّى أَصْبَحَا صَدِيقَيْنِ حَمِيمَيْن ، فَالْمَوَدَّةُ سَرِيعَةُ

الاتّصَالِ بَيْنَ قُلُوبِ رُفَقَاءِ الشَّقَاء ، وَوَعَدَ كُلٌّ مِنْهُمَا الْآخَرَ أَنْ يَكُونَ لِصَاحِبِهِ إِذَا تَمَكَّنَا مِنَ الْفِرَار .

وَكَادَ النَّهَارُ يَنْقَضِي وَهُمَا فِي أَحَادِيثَ حُلْوَةٍ شَائِقَة ، فَنَبَّهَتْ كَرِيمَةُ صَدِيقَهَا إِلَى أَنْ يَقُومَ بِعَمَلِهِ قَبْلَ عَوْدَةِ الْعِمْلاق ، فَنَهَضَ مُتَرَاخِياً كَأَنَّهُ اسْتَيْقَظَ مِنْ حُلْمٍ جَمِيل ، وَسَارَ إِلَى الْإِسْطَبْل ، وَاتَّبَعَ فِي كَنْسِهِ الطَّرِيقَةَ الَّتِي ذَكَرَتْهَا لَهُ صَدِيقَتُهُ ، فَانْقَلَبَ الْإِسْطَبْلُ فِي طَرْفَةِ عَيْن ، نَظِيفاً لامِعاً كَأَنْ لَمْ تَتَجَمَّعْ فِيهِ قَطُّ قُطْعَانُ الْغَنَم .

وَانْتَهَى أَنْوَر مِنْ عَمَلِه ، وَجَلَسَ عِنْدَ بَابِ الدَّارِ يَنْتَظِرُ عَوْدَةَ سَيِّدِه .

وَعَادَ هذَا بَعْدَ قَلِيل ، وَذَهَبَ تَوًّا إِلَى الْإِسْطَبْل ، وَرَجَعَ مِنْهُ وَشَرَرُ الْغَضَبِ يَتَطَايَرُ مِنْ عَيْنَيْهِ وَقَالَ يُخَاطِبُ أَنْور :

– " إِنَّكَ وَلا شَكَّ قَدْ رَأَيْتَ كَرِيمَة ... " .

فَتَصَنَّعَ أَنْوَرُ الْبَلاهَةَ وَقَال :

– " مَنْ كَرِيمَةُ هذِهِ ؟ أَهِيَ وَحْشٌ مِنْ وُحُوشِ هذَا الْبَلَد ؟ "

فَسَكَتَ الْعِمْلاقُ وَلَمْ يُجِب ، وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي جَمَعَ أَغْنَامَه ، وَقَبْلَ أَنْ يَمْضِيَ بِهَا إِلَى الْمَرْعَى صَاحَ بِأَنْوَر وَقَالَ لَه :

– " عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَنِي الْيَوْمَ بِحِصَانِي الَّذِي تَرَكْتُهُ يَرْعَى فَوْقَ الْجَبَلِ ، وَلَكَ أَنْ تَسْتَرِيحَ بَعْدَ ذلِكَ طُولَ النَّهَار ، وَلكِنْ إِيَّاكَ وَدُخُولَ غُرَفِ الْمَنْزِل ، وَإِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَك ! "

وَلَمْ يَكَدِ الْعِمْلاقُ يَغِيبُ عَنِ النَّظَر ، حَتَّى سَارَعَ أَنْوَرُ إِلَى كَرِيمَة ، وَأَخْبَرَهَا عَنْ شُغْلِهِ فِي

ذلِكَ النَّهَارِ ، فَتَبَسَّمَتْ وَقَالَت :

– ” مَا هُوَ بِشُغْلٍ سَهْل ، فَالْحِصَانُ عَنِيفٌ حَرُون ، وَلكِنَّني سَأُرْشِدُكَ إِلَى وَسِيلَةٍ تُمَكِّنُكَ مِنْهُ ، فَأَصْغِ إِلَيَّ : سَوْفَ تَرَى مِنْخَرَيْهِ يَقْذِفَانِ النَّارَ وَاللَّهَب ، فَخُذْ مَعَكَ اللِّجَامَ الْمُعَلَّقَ وَرَاءَ بَابِ الْإِسْطَبْلِ ، وَارْمِ بِهِ بَيْنَ فَكَّيْهِ عِنْدَمَا يَفْتَحُ فَمَهُ يُصْبِحْ أَطْوَعَ مِنْ حَمَلٍ وَدِيع “.

فَطَارَ أَنْوَرُ إِلَى الْجَبَلِ وَفِي يَدِهِ الشَّكِيمَة ، وَرَأَى هُنَاكَ حِصَاناً ضَخْمًا كَالْفِيل ، يَجْرِي إِلَيْهِ وَمِنْخَرَاهُ يَقْذِفَانِ النَّارَ وَاللَّهَب ، فَانْتَظَرَهُ أَنْوَرُ بِقَدَمٍ ثَابِتَة ، حَتَّى إِذَا اقْتَرَبَ مِنْهُ وَفَتَحَ فَمَه ، رَمَى بِاللِّجَامِ بَيْنَ فَكَّيْه ، فَهَدَأَ وَسَكَن ، فَقَفَزَ إِلَى ظَهْرِهِ وَعَادَ بِهِ إِلَى الْمَنْزِل ، فَأَدْخَلَهُ الْإِسْطَبْلَ وَسَارَعَ إِلَى كَرِيمَةَ يَقْضِي مَعَهَا بَقِيَّةَ النَّهَارِ فِي شَهِيّ الْأَحَادِيث .

وَعَادَ الْعِمْلاق ، فَلَقِيَ عِنْدَ الْبَابِ أَنْوَر يَسْتَقْبِلُهُ قَائِلاً :

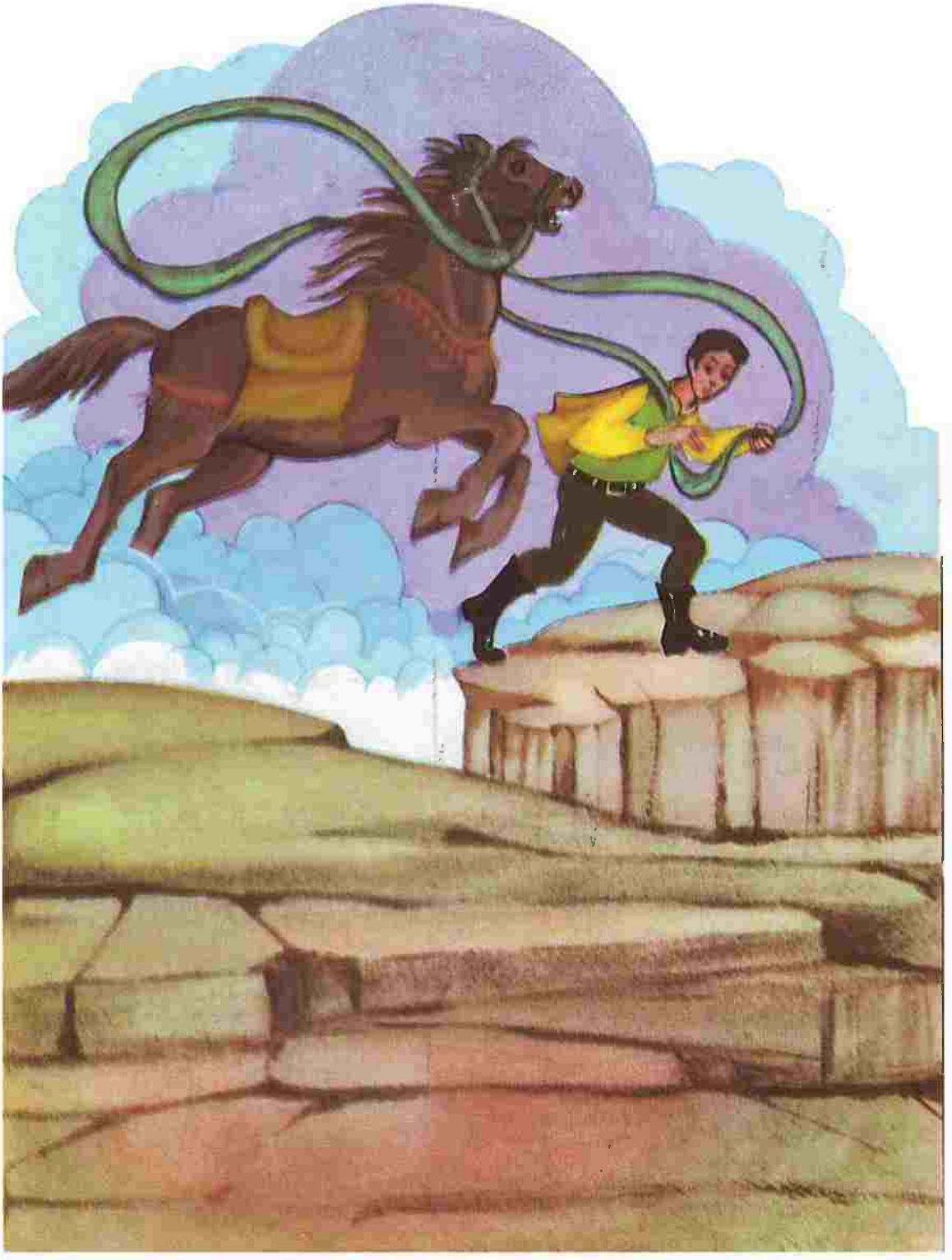

– " إِنَّ الْحِصَانَ فِي الْإِسْطَبْل يَا سَيِّدِي " .

فَتَوَجَّهَ الْعِمْلاقُ إِلَى الْإِسْطَبْل ، وَرَجَعَ مِنْهُ وَهُوَ يُزَمْجَر وَيَخُورُ خُوَارَ الثِّيرَانِ وَيَقُول :

– " إِنَّكَ وَلا شَكَّ قَدْ رَأَيْتَ كَرِيمَة ... ! "

فَتَصَنَّعَ أَنْوَرُ الْبَلاهَةَ وَقَال :

– " مَنْ كَرِيمَةُ هذِهِ ؟ بِحَقِّ السَّمَاءِ إِلَّا أَرَيْتَنِي هذَا الْوَحْشَ الَّذِي تَتَحَدَّثُ عَنْه ! " . فَقَال الْعِمْلاق :

– " سَوْفَ تَرَاهُ غَداً " .

* * *

وَذَهَبَ الْعِمْلاَقُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ إِلَى الْمَرْعَى ، وَلَمْ يَعْهَدْ إِلَى أَنْوَر فِي عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَال ، وَعَادَ عِنْدَ الظُّهْرِ يَشْكُو مِنَ الْحَرِّ وَالتَّعَبِ وَقَال لِكَرِيمَة :

– " إِنَّ عَلَى الْبَابِ فَتىً هُوَ خَادِمِي فَاذْبَحِيه وَضَعِيه

فِي الْقِدْرِ الْوَاسِعَةِ وَاطْبُخِيه ،
وَاسْتَدْعِيني عِنْدَمَا يَنْضَج " .
ثُمَّ اسْتَلْقَى إِلَى سَرِيرِهِ رَاغِباً فِي
قِسْطٍ مِنَ الرَّاحَة ، فَدَبَّ النُّعَاسُ
إِلَى جَفْنَيْهِ ، فَنَامَ وَغَطَّ غَطِيطاً
كَأَنَّهُ الرَّعْدُ يُزَلْزِلُ الْجِبَال .

وَعَمَدَتْ كَرِيمَةُ إِلَى سِكِّينٍ حَادَّة، وَجَاءَتْ بِأَنْوَر وَجَرَحَتْهُ جُرْحاً صَغِيراً فِي إِحْدَى أَصَابِعِه، وَأَسْقَطَتْ فِي الْقِدْرِ ثَلاثَ نُقَطٍ مِنْ دَمِهِ وَقَالَتْ لَه :

– " وَالْآنَ سَاعِدْنِي عَلَى مَلْءِ الْقِدْر " .

فَأَلْقَيَا فِيهَا كُلَّ مَا كَانَ فِي مُتَنَاوَلِهِمَا ، مِنْ ثِيَابٍ بَالِيَةٍ وَأَحْذِيةٍ قَدِيمَةٍ وَمَا إِلَى ذلِك ، ثُمَّ قَادَتْهُ إِلَى الْغُرَفِ الثَّلاث، وَتَنَاوَلتْ مِنَ الْأُولَى كُرَةً صَغِيرَةً مِنْ نُحَاس ، وَالْتَقَطَتْ مِنَ

الثَّانِيَةِ كُرَةً مِنْ فِضَّة ، وَاسْتَوْلَتْ مِنَ الثَّالِثَةِ عَلَى ثَلاثِ كُرَاتٍ مِنْ ذَهَب ، وَفَرَّتْ هِيَ وَأَنْوَر مُتَّجِهَيْنِ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ وَقَالَتْ لَه :

– " عَلَيْنَا أَنْ نُغَادِرَ هذِهِ الْجَزِيرَةَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَإِلَّا هَلَكْنَا".

وَبَعْدَ أَنْ نَامَ الْعِمْلاقُ نَحْوَ سَاعَةٍ ، فَتَحَ إِحْدَى عَيْنَيْهِ وَصَاحَ :

– " هَلْ نَضِجَ الطَّعَام ؟ "

فَرَدَّتْ عَلَيْهِ نُقْطَةُ الدَّمِ الْأُولَى وَقَالَت :

– " بَدَأَ يَنْضَج ... " .

فَاسْتَغْرَقَ فِي النَّوْمِ سَاعَةً أُخْرَى أَوْ سَاعَتَيْنِ صَحَا بَعْدَهُمَا وَصَاحَ :

– " أَتَسْمَعِينَي يَا كَرِيمَة ؟ هَلْ نَضِجَ الطَّعَامِ ؟ "

فَأَجَابَتْهُ نُقْطَةُ الدَّمِ الثَّانِيَةُ وَقَالَت :

– ” يَكَادُ يَنْضَج ... “ .

فَاسْتَسْلَمَ إِلَى النَّوْمِ ثَانِيَةً ، وَاسْتَيْقَظَ بَعْدَ نَحْوِ سَاعَةٍ وَصَاحَ وَقَدْ نَفِدَ صَبْرُه :

– ” وَيْحَكِ يَا كَرِيمَة هَلْ نَضِجَ الطَّعَام ؟ “

فَقَالَتْ لَهُ نُقْطَةُ الدَّمِ الثَّالِثَة :

– ” نَضِجَ تَمَامَ النُّضْج ... “ .

فَبَحَثَ الْعِمْلاقُ عَنْ كَرِيمَة فَلَمْ يَعْثُرْ عَلَيْهَا ، وَمَضَى إِلَى الْقِدْرِ وَأَلْقَى عَلَيْهَا نَظْرَةً فَاحِصَة ، فَهَالَهُ أَنْ يَرَى فِيهَا عَدَداً مِنَ الْأَحْذِيَةِ وَالْمَلابِس ، فَتَمَلَّكَهُ غَضَبٌ شَدِيدٌ وَصَاحَ مُتَوَعِّداً :

– ” وَيْلٌ لِلشَّقِّيَيْنِ ! لَقَدْ سَخِرَا مِنِّي وَلَكِنْ سَتُكَلِّفُهُمَا هذِهِ السُّخْرِيَةُ غَالِياً “.

وَخَرَجَ يَجْرِي وَرَاءَ الْهَارِبَيْنِ وَهُوَ يَقْفِزُ قَفَزَاتٍ مُخِيفَةً ، فَلَمَحَهُمَا بَعْدَ قَلِيل ، وَكَانَا لا يَزَالانِ بَعِيدَيْنِ مِنَ الشَّاطِئِ ، فَصَرَخَ صَرْخَةَ فَرَحٍ اهْتَزَّتْ لِصَدَاهَا الْجِبَالُ وَالْغَابات .

وَتَوَقَّفَتْ كَرِيمَة وَهِيَ تَرْتَجِفُ مِنَ الْخَوْف ، فَضَمَّهَا أَنْوَر إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ يُشَجِّعُهَا :

– " لاَ تَجْزَعِي يَا حَبِيبَتِي ، فَالْبَحْرُ غَيْرُ بَعِيد ، وَسَوْفَ نَبْلُغُهُ قَبْلَ عَدُوِّنَا " .

فَقَالَتْ مُشِيرَةً إِلَى الْعِمْلاقِ الَّذِي كَانَ عَلَى بُعْدِ خُطُوَاتٍ مِنْهُمَا :

– " اُنْظُرْ ... هَا هُوَ ذَا ... إِنَّنَا هَالِكَانِ إِذَا لَمْ يُنْقِذْنَا هذَا السِّحْر ! "

وَتَنَاوَلَتْ كُرَةَ النُّحَاسِ وَرَمَتْ بِهَا إِلَى الْأَرْضِ وَهِيَ تَقُول :

يَا كُــرَةَ النُّحَاسِ

غُورِي بِشَرِّ النَّاسِ

فَانْشَقَّتِ الْأَرْضُ عَلَى الْفَوْر ، وَأَحْدَثَتْ فَجْوَةً عَمِيقَةً بَعْدَ أَنْ كَانَ الْعِمْلاقَ قَدْ مَدَّ ذِرَاعَهُ وَكَادَ يَقْبِضُ عَلَى الْفَرِيسَة .

وَتَابَعَ الْهَارِبانِ رَكْضَهُمَا إِلَى الْبَحْر ، فِي حِينَ كَانَ الْعِمْلاقُ ، وَقَدْ بَلَغَ بِهِ الْهِيَاجُ أَشَدَّهُ ، يَرُوحُ وَيَغْدُو كَدُبٍّ مَحْبُوسٍ فِي قَفَص .

فابزه

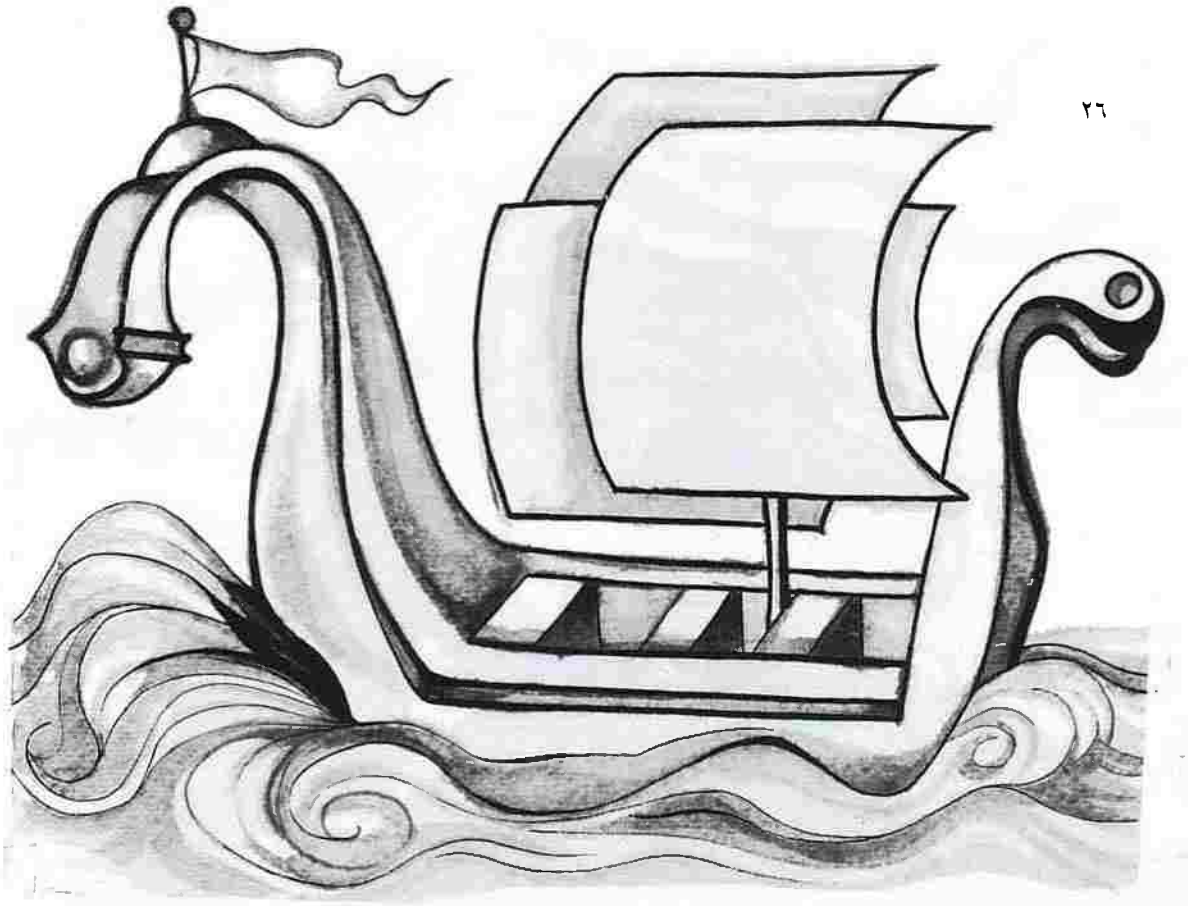

وَطَالَتْ بِهِ تِلْكَ الْحَال ، حَتَّى اسْتَرْعَتِ انْتبَاهَهُ شَجَرَةٌ طَوِيلَةٌ ضَخْمَة ، فَاقْتَلَعَهَا مِنْ جُذُورِهَا ، وَرَمَاهَا فَوْقَ الْفَجْوَةِ وَاتَّخَذَهَا جِسْراً طَبِيعِيًّا مَشَى فَوْقَهُ عَلَى مَهَل ، وَاجْتَازَ الْهُوَّةَ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَر .

وَكَانَ أَنْوَر وَكَرِيمَة قَدْ وَصَلا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ إِلَى الشَّاطِئ ، وَلكِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ وَيَا لَلأَسَف ، زَوْرَقٌ وَلا سَفِينَة ، فَخَابَ

رَجَاؤُهُمَا ، وتَوَقَّعَا الْمَوْتَ عَلَى يَدِ ذلِكَ الْوَحْشِ الْمُفْتَرِس ، وَلَمْ تَفْقِدْ كَرِيمَة وَعْيَهَا ، فَتَنَاوَلَتْ كُرَةَ الْفِضَّةِ وَأَلْقَتْهَا فِي الْبَحْرِ وَهِيَ تَقُول :

يَا كُرَتِي الْفِضِّيَّةْ

عَوْنَكِ فِي الْبَلِيَّةْ

فَمَا كَادَتْ تَنْطِقُ بِهذِهِ الْجُمْلَةِ السِّحْرِيَّة ، حَتَّى انْبَثَقَ مِنَ الْأَمْواج ، مَرْكَبٌ جَمِيلٌ سَبَحا إِلَيْه ، وَحِينَمَا بَلَغَ الْعِمْلاقُ الشَّاطِئَ ، كَانَتْ هذِهِ السَّفِينَةُ تَسِيرُ قُدُماً فِي عُرْضِ الْبَحْرِ مَنْشُورَةَ الشِّرَاع .

وَقَصَدَ الْعِمْلاقُ مَنْزِلَهُ مَغْلُوباً عَلَى أَمْرِهِ وَالْغَيْظُ يُقَطِّعُ قَلْبَه ، وَمَا إِنْ أَقْلَعَتِ السَّفِينَةُ بِالْهَارِبَيْنِ ، حَتَّى الْتَفَتَ أَنْوَر إِلَى كَرِيمَة وَقَال لَهَا فَرِحاً مَسْرُوراً :

– " لَقَدْ نَجَوْنَا . لَقَدْ نَجَوْنَا " .

فَقَالَتْ لَهُ كَرِيمَة مُرْتَعِدَة مُضطَّرِبَة .

– " لا يَزَالُ الْخَطَرُ يُحَلِّقُ فَوْقَ رَأْسَيْنَا ، فَلِلْعِمْلاقِ شَفِيعَةٌ مِنَ السَّاحِرَات ، وَإِنّي لأَخْشَى أَنْ تَثْأَرَ لَهُ مِنَّا ... وَفَنّي يَقُولُ لِي إِنَّكِ إِنْ تَرَكْتَنِي لَحْظَةً وَاحِدَة ، عَرَّضْتَنِي لِلْخَطَر ، وَلَنْ يَزُولَ عَنّي حَتى أُزَفَّ إِلَيْك " . فَقَالَ لَهَا أَنْوَر مُبْتَسِمًا :

– " لاَ تَخَافِي يَا عَزِيزَتِي ، فَإِنَّ حُبَّنَا أَقْوَى مِنْ كُلِّ خَطَر " .

* * *

كَانَتِ السَّفِينَةُ تَشُقُّ طَرِيقَهَا عَبْرَ الْأَمْوَاج ، وَكَأَنَّ يَداً خَفِيَّةً تَدْفَعُهَا إِلَى بَلَدِ أَنْوَر ، وَبَعْدَ ثَلاثَةِ أَسَابِيعَ رَسَتْ فِي الْمِينَاءِ الَّذِي لا يَبْعُدُ كَثِيراً مِنَ الْقَصْرِ الَّذِي نَشَأَ فِيهِ أَنْوَر ، فَلَمْ تَكَدْ قَدَمُهُ تَطَأُ أَرْضَ الشَّاطِئِ ، حَتَّى الْتَفَتَ إِلَى السَّفِينَةِ يُرِيدُ أَنْ يَشْكُرَ الْمَلاحِينَ عَلَى جُهْدِهِمْ وَحُسْنِ رِعَايَتِهِم ، وَلكِنْ كَانَتِ السَّفِينَةُ قَدْ تَوَارَتْ بِمَلاَّحِيهَا كَأَنَّمَا

غَاصَتْ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْر .

وَلا تَسَلْ عَنْ فَرْحَةِ أَنْوَر حِينَمَا عَرَفَ مَزَارِعَ أَبِيهِ وَالْقَصْرَ الْقَائِمَ فِي وَسَطِهَا ، ومَالَ عَلَى كَرِيمَة يُرِيدُ أَنْ يُعَبِّرَ لَهَا عَنْ سُرُورِهِ بِعَوْدَتِهِ إِلَى قَرْيَتِهِ ، فَتَنَبَّهَ لأَوَّلِ مَرَّةٍ إِلَى مَلابِسِهَا الزَّرِيَّةِ فَقَالَ لَهَا :

– " إِنَّ أُسْرَتِي تُعْنَي كَثِيراً بِالْمَظَاهِرِ ، فَلَسَوْفَ تَسْتَاءُ إِذَا رَأَتْكِ عَلَى مِثْلِ هذَا الزِّيِّ الْحَقِير ، وَلَسَوْفَ تَزْدَادُ اسْتِيَاءُ إِذَا ذَهَبْنَا إِلَى الْقَصْرِ مَشْياً عَلَى الْأَقْدَام ، فَانْتَظِرِينِي قَلِيلاً أَعُدْ إِلَيْكِ بِثِيَابٍ جَمِيلَة ، وَبِفَرَسٍ تَرْكَبِينَهَا إِلَى الْقَصْر " .

فَقَالَتْ لَهُ كَرِيمَة قَلِقَةً مُضطَّرِبَة :

– " لا تَتْرُكْنِي يَا أَنْوَر ، فَإِنَّكَ سَوْفَ تَنْسَانِي إِذَا لَقِيتَ أَهْلَكَ وَأَصْدِقَاءَك ... " .

فَقَاطَعَهَا أَنْوَر وَبَدَّدَ مَخَاوِفَهَا ، فَمَا وَسِعَهَا إِلا أَنْ تَرْضَى ،

لَكِنَّهَا أَوْصَتْهُ بِأَنْ يَفْعَلَ مَا تُشِيرُ بِهِ عَلَيْهِ وَقَالَتْ :

– " اِذْهَبْ وَعُدْ إِلَيَّ سَرِيعاً ، وَلَسَوْفَ يُحِيطُ النَّاسُ بِكَ وَيُقَدِّمُونَ لَكَ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَتَنَاوَلَ مِنْهُ شَيْئاً وَإِلا حَلَّتْ بِنَا نَحْنُ اِلاثْنَيْنِ مُصِيبَةٌ كَبِيرَة " .

فَوَعَدَهَا خَيْراً ، وَسَارَ حَتَّى بَلَغَ الْقَصْرَ ، فَرَآهُ مَزْدَاناً بِالرَّايَاتِ مُزْدَحِماً بِالْمَدْعُوّين ، يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُون ، وَيَرْقُصُونَ وَيُغَنُّون ، وَقَدْ جَاءُوا يَحْتَفِلُونَ بِعِيدِ رَبِّ الْقَصْر .

سَرَّ الْقَوْمَ ظُهُورُ أَنْور بَيْنَهُم ، فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ يُحَيُّونَه ، وَيُصَافِحُونَهُ وَيُقَبِّلُونَه ، وَيَطْرَحُونَ عَلَيْهِ مِئَاتِ الْأَسْئِلَةِ عَنْ رِحْلَتِهِ وَمُغَامَرَاتِهِ وَمَغَانِمِه ، فَمَا كَانَ يُجِيبُ عَنْ سُؤَال ، وَإِنَّمَا اكْتَفَى بَعْدَ أَنْ قَبَّلَ يَدَ أَبِيه ، بِأَنْ يُهْرَعَ إِلَى غُرْفَةِ شَقِيقَتِه ، وَيَأْخُذَ مِنْهَا ثَوْبَيْنِ فَاخِرَيْن ، وَيُسَارِعَ بِهِمَا إِلَى الْإِسْطَبْل ، وَيُسْرِجَ فَرَساً وَيُمْسِكَ بِلِجَامِه ، ثُمَّ يَمْتَطِي جَوَاداً

مِنَ الْجِيَادِ ، ويَخْرُجَ بِهِ وَبالْفَرسِ عَائِداً إِلَى كَرِيمَة .

غَادَرَ الْقَصْرَ وَهَمَّ أَنْ يُطْلِقَ لِجَوَادِهِ الْعِنَان ، فَاسْتَوْقَفَتْهُ سَيِّدَةٌ شَقْرَاءُ لا يَعْرِفُهَا ، وَاقْتَرَبَتْ مِنْهُ وَفِي يَدِهَا تُفَّاحَة ، وَقَالَتْ لَهُ وَهِيَ تَبْتَسَمُ ابتِسَامَةً غَرِيبَة :

– " أَيُهَا الْفَارِسُ الْجَمِيل ! لَقَدْ عُدْتَ مِنْ سَفَرٍ طَوِيل ، وَلا أَظُنُّكَ إِلا جَوْعَانَ عَطْشَان ، فَاقْبَلْ مِنّي هذِهِ التُّفَّاحَة ، وَكُلْهَا هَنِيئاً ، وَلَسْتُ أَعْتَقِد ، وَأَنْتَ الْفَتَى الْمُؤَدَّبُ الْمُهَذَّب ، أَنَّكَ نَسِيتَ آدَابَ الْكِيَاسَة وَالْمُجَامَلَة ، وَأَنَّكَ تَرْفُضُ رَجَاءَ سَيِّدَةٍ تُضْمِرُ لَكَ الْخَيْر " .

فَقَبِلَ أَنْوَرُ الرَّجَاء ، وَمَا كَادَ يَعَضُّ عَلَى التُّفَّاحَة ، حَتَّى تَوَلاَّهُ ذُهُولٌ شَدِيد ، فَتَرَجَّلَ وَقَدَّمَ ذِرَاعَهُ للسَّيِّدَة ، فَتَأَبَّطَتْهَا وَرَجَعَا مَعاً إِلَى الْقَصْرِ يُشَارِكَانِ فِي مَبَاهِجِ الْحَفْل ، وَبَقِيَتْ تَتَوَدَّدُ إِلَيْهِ حَتَّى وَعَدَهَا بِالزَّوَاج ، وَنَسِيَ كَرِيمَة كُلَّ النِّسْيَان .

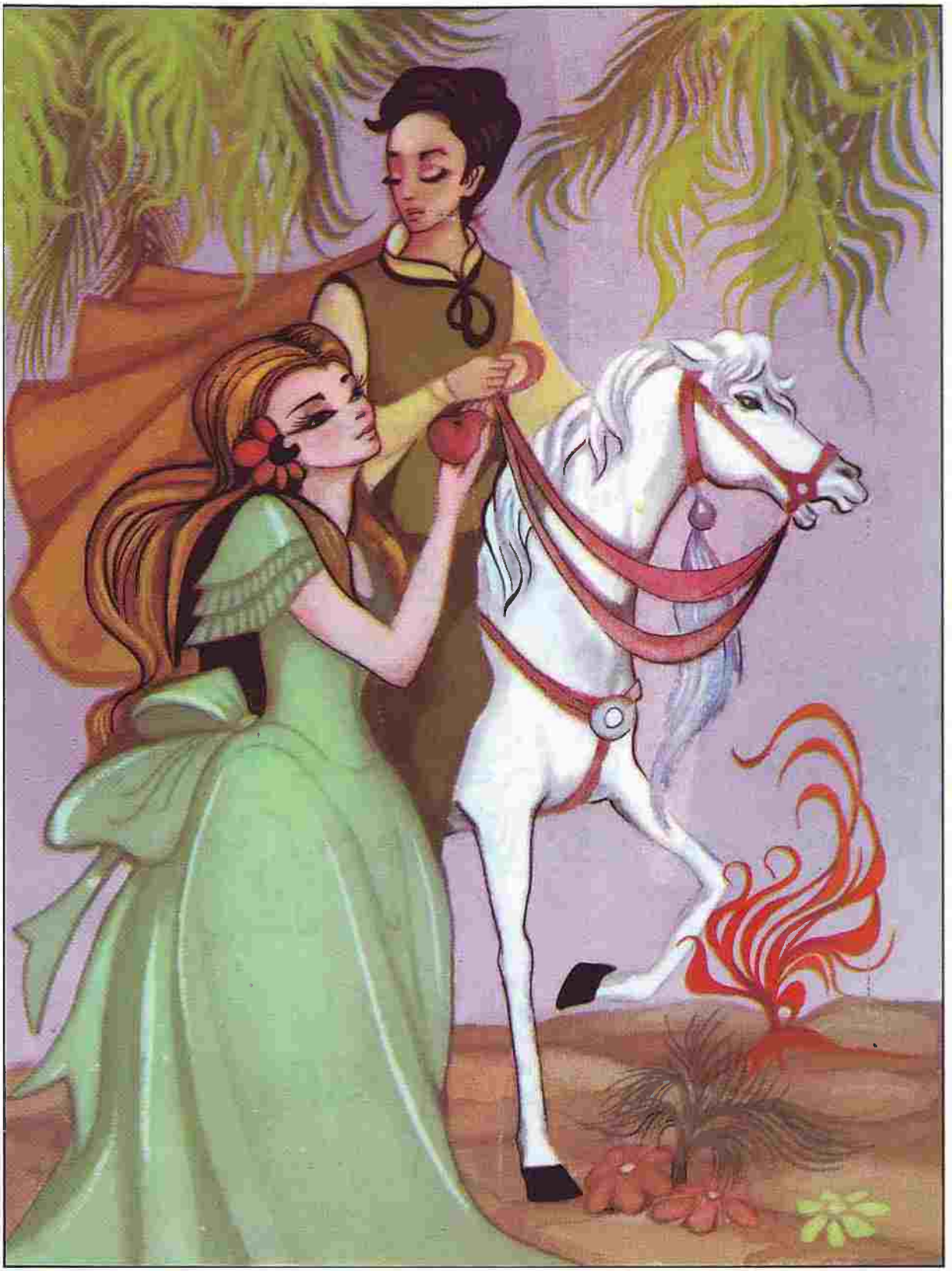

طَالَ الْوَقْتُ عَلَى كَرِيمَة وَلَمْ يَرْجِع الْحَبِيبُ الْمُنْتَظَر ، فَقَامَتْ والشَّمْسُ تَكَادُ تَغِيبُ وَرَاءَ الْأُفُق ، وَسَارَتْ فِي اتّجَاهِ الْقَصْرِ بَاكِيَةً حَزِينَة ، وَمَرَّتْ فِي طَرِيقِهَا بكُوخٍ مُتَهَدِّمٍ وَقَفَتْ عَلَى بَابِهِ عَجُوزٌ تَهُمُّ بِحَلْبِ بَقَرَتِهَا ، فَحَيَّتْهَا كَرِيمَة فِي وَدَاعَة وَأَدَب ، وَطَلَبَتْ مِنْهَا أَنْ تَسْمَحَ لَهَا بِقَضَاءِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ فِي زَاوِيَةٍ مِنَ الْإِسْطَبْلِ ، فَحَدَّقَتْ إِلَيْهَا الْعَجُوزُ طَوِيلاً وَلَمْ تُعْجِبْهَا ثِيَابُهَا الْغَرِيبَة ، فَقَالَتْ لَهَا تُعَجِّزُهَا مُتَهَكِّمَة :

– ” سَأَسْمَحُ لَكِ بالْمَبِيتِ فِي الْإِسْطَبْلِ أَيَّتُهَا اللَّعِينَة ، إِذَا مَلأْتِ لِي هذَا الْإِنَاءَ ذَهَباً ” .

فَأَخْرَجَتْ كَرِيمَة مِنْ جَيْبِهَا كُرَةً مِنْ ذَهَبٍ وَأَلْقَتْهَا فِي الإِنَاءِ وَهِيَ تَقُول :

يَا كُرَةً مِنَ الذَّهَبْ

مَا خَابَ عِنْدَكِ الطَّلَبْ

وَعَلَى الْفَوْرِ امْتَلأَ الْإِنَاءُ بِقِطَعِ الذَّهَب ، فَاسْتَوْلَتِ الدَّهْشَةُ عَلَى الْعَجُوز ، وَقَفَزَتْ إِلَى الْإِنَاءِ فَحَمَلَتْهُ وَخَرَجَتْ مِنَ الْكُوخِ وَهِيَ تَصِيحُ فِي كَرِيمَة :

– " الْكُوخُ وَالْبَقَرَةُ وَالْإِسْطَبْلُ كُلُّ هذَا لَكِ أَيَّتُهَا السَّيِّدَةُ الْعَظِيمَة ... إِنِّي ذَاهِبَةٌ إِلَى الْمَدِينَةِ أَعِيشُ فِيهَا عَيْشَ الْأَمِيرَات . آهِ لَوْ لَمْ أَكُنْ تَجَاوَزْتُ السِّتِّينَ مِنْ عُمْرِي ! "

وَمَضَتْ تُوسِعُ الْخُطَا إِلَى نَاحِيَةِ الْقَصْر . وَعَزَّ عَلَى كَرِيمَة أَنْ تَسْكُنَ هذَا الْكُوخَ الْحَقِيرَ بَعْدَ قَلْعَةِ الْعِمْلاق ، فَأَخْرَجَتْ مِنْ جَيْبِهَا كُرَةً أُخْرَى مِنَ الذَّهَب ، وَرَمَتْهَا فِي الْمَوْقِدِ الَّذِي كَانَتْ تَشْتَعِلُ فِيهِ بَعْضُ أَعْوَادٍ مِنَ الْقَصَب ، وَقَالَتْ تُخَاطِبُ كُرَتَهَا :

يَا كُرَةً مِنَ الذَّهَبْ

مَا خَابَ عِنْدَكِ الطَّلَبْ

فَغَمَرَ الْكُوخَ فِي الْحَالِ سَيْلٌ مِنَ الذَّهَبِ غَطَّى جُدْرَان الْكُوخِ وَالسَّقْفَ وَالْكَرَاسِيَّ وَالسَّرِير ، وَكُلَّ شَيْءٍ فِي الْكُوخِ حَتَّى قَرْنَي الْبَقَرَة ، وَكَانَ التَّعَبُ قَدْ بَلَغَ مِنْ كَرِيمَة مَبْلَغَهُ ، فارْتَمَتْ إِلَى السَّرِيرِ وَغَلبَهَا النُّعَاسُ فَنَامَت .

وَحَكتِ الْعَجُوزُ حِكَايَتَهَا لِلنَّاسِ وَالْحِجَارَة ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ فِي قَرْيَةِ أَنْوَر إِلا عَلِمَ بِهَا .

وَعِنْدَ الْفَجْرِ نَهَضَ نَاظِرُ الزِّرَاعَة ، وَتَوَجَّهَ إِلَى كُوخِ الْعَجُوزِ مُسْتَطْلِعاً ، فَدَهِشَ لَمَّا رَأَى بَدَلَ الْكُوخِ بَيْتاً مِن الذَّهَب ، وَزَاغَ بَصَرُهُ عِنْدَمَا دَخَلَ الْبَيْتَ وَرَأَى فَتَاةً عَلَى جَانِبٍ عَظِيم مِنَ الْجَمَال ، جَالِسَةً قُرْبَ النَّافِذَة ، وَبِيَدِهَا مِغْزَلٌ تَغْزِلُ بِهِ الصُّوف .

وَكَانَ هذَا النَّاظِرُ شَابًّا مُعْجَباً بِنَفْسِه ، فَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَرْضَى بِهِ زَوْجاً ، فَضَحِكَتْ مِنْهُ وَاسْتَهْزَأَت ، فَهَدَّدَهَا بِالسِّجْنِ بِتُهْمَةِ

السِّحْرِ وَالشَّعْوَذَة ، فَلَمْ تَكْتَرِثْ لَه ، وَكَانَتْ بَعْضُ جَمَرَاتِ الْمَوْقِدِ قَدْ تَدَحْرَجَتْ إِلَى أَرْضِ الْغُرْفَة ، فَأَمْسَكَ بِالْمِلْقَطِ وَأَسْرَعَ يُعِيدُهَا إِلَى مَوْضِعِهَا فَقَالَتْ لَهُ كَرِيمَة :

– " أَمْسِكَ جَيِّداً بِالْمِلْقَط ، وَالْتَقِطْ بِهِ الْجَمْر ، وَأَعِدْهُ إِلَى الْمَوْقِد " .

ثُمَّ لَفَظَتْ هذِهِ الْكَلِمَةَ السِّحْرِيَّة :

– " أَبْرَا كَادَبْرَا " . وَأَضَافَتْ تَقُول :

– " اِبْقَ أَيُّهَا الشِّرِّيرُ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ مُمْسِكاً بِالْمِلْقَط تَلْتَقِطُ بِهِ الْجَمْرَ وَتُرْجِعُهُ إِلَى مَكَانِهِ " .

فَقَضَى الرَّجُلُ طُولَ نَهَارِهِ يَقُومُ بِهذَا الْعَمَل ، وَقِطَعُ الْجَمْرِ تَثِبُ فِي وَجْهِهِ ، وَالرَّمَادُ السَّاخِنُ يَطِيرُ حَوْلَ عَيْنَيْهِ وَيَكْوِيهِما بِحَرَارَتِه .

وَحَالَمَا غَابَتِ الشَّمْسُ سَقَطَ الْمِلْقَطُ مِنْ يَدَيْ نَاظِرِ الزِّرَاعَةِ فَفَرَّ

هَارِباً كَأَنَّ الشَّيْطَانَ أَوِ الْعَدَالَةَ تَجِدُّ فِي أَثَرِه .

وَفِي الْمَسَاءِ زَارَ كَرِيمَةَ زَائِرٌ آخَرُ هُوَ رَئِيسُ حَرَسِ الْقَصْر ، وَكَانَ قَدْ سَمِعَ بِقِصَّةِ الذَّهَب ، فَجَاءَ يُجَرِّبُ هُوَ أَيْضاً حَظَّهُ فِي الزَّوَاجِ مِنْ هذِهِ الْفَتَاةِ الْغَرِيبَة .

سَخِرَتْ مِنْهُ كَرِيمَة ، وَوَصَفَتْهُ بِقِلَّةِ الذَّوْقِ إِذْ تَرَكَ بَابَ الْغُرْفَةِ مَفْتُوحاً ، وَلَمْ يُفَكِّرْ فِي أَنْ يَحْمِيَ الْفَتَاةَ الَّتِي أَقْبَلَ يَخْطُبُهَا وَفِي أَنْ يُجَنِّبَهَا الْهَوَاءَ الْبَارِدَ الَّذِي يَمْلأُ الْغُرْفَة .

وَمَا إِنْ سَمِعَ عِتَابَهَا حَتَّى مَشَى إِلَى الْبَاب ، وَأَمْسَكَ بِالْمِقْبَضِ يُرِيدُ إِغْلاقَه ، فَقَالَتْ كَرِيمَة كَلِمَتَهَا السِّحْرِيَّة :

– " أَبْرَا كَادَبْرَا " . وَأَضَافَتْ تَقُول :

– " اِبْقَ أَيُّهَا الشِّرِّيرُ حَتَّى الصَّبَاحِ مُمْسِكاً بِالْبَاب ، تُغْلِقُهُ وَتَفْتَحُهُ عَلَى مَرِّ الدَّقَائِق " .

فَقَضَى الرَّجُل طُولَ اللَّيْلِ فِي حَرَكَةٍ دَائِمَةٍ حَتَّى انْخَلَعَتْ

عِظَامُه ، وَعِنْدَ الصَّبَاحِ فُكَّتْ كَفُّهُ مِنْ مِقْبَضِ الْبَاب فَفَرَّ يُسَابِقُ الرِّيح .

وَلَمَّا اسْتَيْقَظَتْ كَرِيمَة ، فَتَحَتْ عَيْنَيْهَا عَلَى رَجُلٍ جَالِسٍ إِلى جِوَارِ سَرِيرِهَا ، قَاسِي الْمَظْهَر ، عَبُوسِ الْوَجْه ، وَكَانَ عُمْدَةَ الْقَرْيَة ، سَمِعَ هُوَ كَذلِكَ بِأَخْبَارِ الذَّهَب ، فَجَاءَ يَطْلُبُ يَدَ رَبَّةِ الذَّهَب ، فَهَرَبَتْ مِنْهُ كَرِيمَة إِلَى الْإِسْطَبْل ، فَلَحِقَ بِهَا إِلَيْه ، وَاعْتَرَضَتِ الْبَقَرَةُ طَرِيقَه ، فَجَرَّهَا مِنْ ذَيْلِهَا إِلَى خَارِجِ الْإِسْطَبْل ، وَاغْتَنَمَتْ كَرِيمَة هَذِهِ الْفُرْصَةَ وَقَالَتْ كَلِمَتَهَا السِّحْرِيَّة :

– " أَبْرَا كَادَبْرَا ! " . وَأَضَافَتْ تَقُول :

– " لِيُمْسِكْ بِكَ ذَيْلُ الْبَقَرَةِ حَتَّى تَدُورَا مَعًا حَوْلَ الْعَالَم " .

فَانْطَلَقَتِ الْبَقَرَةُ بِسُرْعَةِ الْبَرْقِ تَجُرُّ مَعَهَا الْعُمْدَة ،

مُصَعِّدَةً فِي الْجِبَال ، هَابِطَةً إِلَى الْأَوْدِيَة ، مُجْتَازَةً الْأَنْهَار، مُرَفْرِفَةً فَوْقَ الْبِحَار ، وَبَعْدَ سِتٍّ وَثَلاثِينَ سَاعَةً مِنْ هَذِهِ الرِّحْلَةِ الْعَجِيبَة ، تَوَقَّفَتِ الْبَقَرَةُ بِمَنْ تَجُرُّ مَعَهَا فِي سَاحَةِ الْقَرْيَة ، وَهَرْوَلَ الْعُمْدَةُ إِلَى بَيْتِهِ مُتَصَبِّبَ الْعَرَق ، مُحَطَّمَ الأَضْلاَع .

* * *

بَيْنَمَا كَانَ هؤُلاءِ الْعِرْسَانُ الثَّلاثَةُ يَتَحَمَّلُونَ مِثْلَ ذلِكَ الْعَذَاب ، كَانَ أَهْلُ أَنْوَر بَلِ الْقَرْيَةُ كُلُّهَا تُوَاصِلُ اسْتِعْدَادَهَا مُنْذُ يَوْمَيْنِ لِلاحْتِفَالِ بِزِفَافِ السَّيِّدَةِ الشَّقْرَاءِ إِلَى أَنْوَر .

وَيَوْمَ اكْتَمَلَ عِقْدُ الْمَدْعُوّين ، رَكِبَ الْعَرُوسَانِ مَرْكَبَةً فَاخِرَةً مُزَيَّنَةً بِالْوَرْد وَالرَّيْحَان ، وَقَدْ حَفَّ بِهَا عَدَدٌ مِنَ الْفُرْسَانِ يَمْتَطُونَ الْخُيُولَ الْأَصِيلَة ، وَيَخْتَالُونَ بِمَلابِسِهِمُ الْمُزَرْكَشَةِ وَسِلاحِهِمُ الْبَرَّاق .

وَسَارَ الْمَوْكِبُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَكْتَبِ مُوَثِّق الْعُقُود ، وَزَادَ السَّائِقُ مِنْ سُرْعَةِ الْمَرْكَبَةِ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَجْتَازَ حُفْرَةً اعْتَرَضَتْهُ ، فَتَحَطَّمَتَ السَّارِيَةُ الْمَرْبُوطَةُ إِلَيْهَا الْجِيَاد ، وَانْقَسَمَتِ الْمَرْكَبَةُ شَطْرَيْن ، وَلَكِنَّ السَّمَاءَ لَطَفَتْ بِالْعَرُوسَيْنِ فَلَمْ يُصَابَا بِأَذًى .

وَجِيءَ بِالنَّجَّارِينَ وَالْحَدَّادِينَ لإِصْلاحِ الْمَرْكَبَة ، وَتَنَافَسَ الرِّجَالُ الْأَشِدَّاءُ يُحَاوِلُونَ رَفْعَ الْمَرْكَبَةِ مِنَ الْحُفْرَة ، فَذَهَبَ جَهْدُ هَؤُلاءِ وَأُولئِكَ ضَيَاعًا ، فَاقْتَرَبَ عِنْدَئِذٍ نَاظِرُ الزِّرَاعَةِ وَرَئِيسُ الْحَرَسِ وَالْعُمْدَةُ مِنْ وَالِدِ أَنْوَره ، وَقَالَ الْأَوَّل :

– " إِنَّ فِي ذلِكَ الْمَنْزِلِ الَّذِي نَرَاهُ يَلْمَعُ وَيَسْطَعُ عَنْ بُعْد ، فَتَاةً غَرِيبَةً عَنِ الدِّيَار ، تَنْفَرِدُ بِأَعْمَالٍ يَعْجِزُ عَنْهَا سِوَاهَا ، فَرَأْيِي أَنْ نَسْتَعِيرَ مِنْهَا مِلْقَطَهَا ، وَنَضَعَهُ فِي مَكَانِ السَّارِيَة..." ، وَقَالَ الثَّانِي :

– " وَرَأْيِي أَنْ نَسْتَعِيرَ مِنْهَا بَابَ غُرْفَتِهَا ، وَنَجْمَعَ بِهِ

شَطْرَي الْمَرْكَبَة ... " ، وَقَال الثَّالِث :

– " وَرَأْيي أَنْ نَسْتَعِيرَ مِنْهَا بَقَرَتَهَا الْقَوِيَّة وَنَرْفَعَ بِهَا الْمَرْكَبَة " .

فَوَافَقَ وَالِدُ أَنْوَر عَلَى هَذِهِ الْآرَاءِ الثَّلاثَة ، وَجَرَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْغِلْمَانِ إِلَى مَنْزِلِ كَرِيمَة ، فَأَعَارَتْهُمْ مَا طَلَبُوا وَعَادُوا بِالْمِلْقَطِ فَحَلَّ مَحَلَّ السَّارِيَة ، وبِبَابِ الغُرْفَةِ فَوَصَلَ بَيْنَ شَطْرَي الْمَرْكَبَة . وَرَبَطَ السَّائِقُ الْبَقَرَةَ إِلَى الْمَرْكَبَةِ فَانْتَشَلَتْهَا مِنَ الْحُفْرَةِ وَطَارَتْ بِهَا فِي سُرْعَةٍ جُنُونِيَّةٍ لا إِلَى مَكْتَبِ مُوَثِّق الْعُقُود ، بَلْ رَجَعَتْ بِهَا إِلَى الْقَصْر .

وَكَانَتِ الْمَوَائِدُ قَدْ أُعِدَّتْ ، وَالطَّبَّاخُونَ قَدْ أَتَمُّوا صُنْعَ شَهِيّ الطَّعَام ، فَقَالَ وَالِدُ أَنْوَر :

– " غَدًا نَذْهَبُ إِلَى تَوْثِيقِ عَقْدِ الزَّوَاج ، أَمّا الْيَوْم فَلْنَحْتَفِلْ بِزَوَاجِ أَنْوَر وَعَرُوسِه " .

ثُمَّ دَعَا الْمَدْعُوّينَ إِلَى الْجُلُوس ، وَجَلَسَ هُوَ فِي صَدْرِ الْمَائِدَة

الرَّئِيسَة ، وَأَجْلَسَ عَنْ يَمِينِهِ السَّيِّدَةَ الشَّقْرَاءَ فَأَنْوَر وَتَرَكَ الْمَقْعَدَ الَّذِي عَنْ يَسَارِهِ خَالِيًا .

وَكَانَتْ الْمَعُونَةُ الَّتِي بَذَلَتْهَا لَهُمُ الْفَتَاةُ الْغَرِيبَةُ قَدْ أَثَّرَتْ فِي نَفْسِهِ ، فَأَوْفَدَ إِلَيْهَا جَمَاعَةً مِنَ الفُرْسَانِ يَدْعُونَها بِاسْمِهِ إِلَى شُهُودِ الْمِهرْجَانِ الَّذِي يُقَامُ احْتِفَاءً بِزَوَاجِ ابْنِهِ ، فَلَبَّتْ كَرِيمَة الدَّعْوَة ، وَنَفْسُهَا حَزِينَةٌ حَتَّى الْمَوْت .

وَصَلَتْ كَرِيمَة إِلَى الْقَصْر ، فَخَفَّ وَالِدُ أَنْوَر يُرَحِّبُ بِها أَجْمَلَ تَرْحِيب ، وَأَجْلَسَهَا عَنْ يَسَارِهِ فِي الْمَقْعَدِ الْخَالِي ، فِي حِينَ نَظَرَ أَنْوَر إِلَيْها نَظْرَةً عَابِرَةً وَلَمْ يَعْرِفْها ، فَحَزَّ الْأَلَمُ فِي صَدْرِهَا وَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا : وَدَاعًا أَيَّتُها الْأَحْلامُ الْجَمِيلَة !

وَدَوَّي صَوْتُ وَالِدِ أَنْوَر يَقُول :

– " لِنَشْرَبْ جَمِيعاً فِي صِحَّةِ ضَيْفَتِنَا النَّبِيلَة ! "

وَشَاءَتْ كَرِيمَة أَنْ تَعْتَمِدَ عَلَى أَمَلِهَا الْأَخِير ، فَأَخْرَجَتْ

كُرَةَ الذَّهَبِ مِنْ جَيْبِهَا ، وَهَمَسَتْ بِهَا قَائِلَةً وَهِيَ تَفْرُكُها :

يَا كُرَةً مِنَ الذَّهَبْ

مَا خَابَ عِنْدَكِ الطَّلَبْ

فَاسْتَطَالَتِ الْكُرَةُ فِي يَدِهَا ، وَأَصْبَحَتْ كَأْساً كَبِيرَةً مِنَ البِلَّوْرِ ، فَمَلأَتْها بِالشَّرَابِ ، وَرَجَتْ مِنْ أَحَدِ الْخَدَمِ أَنْ يُقَدِّمَها إِلَى أَنْوَر ، فَتَنَاوَلَها وَرَفَعَها إِلَى عَيْنَيْهِ عَلَى سَبِيلِ التَّحِيَّة ، فَاضْطَرَبَ اضطِرَاباً شَدِيداً وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْكَأْسِ ، مَأْخُوذاً بِرُؤْيَا لاَحَتْ لَهُ فِيها ، وَأَرَتْهُ مَرَاحِلَ حَيَاتِهِ الْمَاضِيَةِ مِنْ يَوْمَ لَقِيَ كَرِيمَة فِي بَيْتِ الْعِمْلاقِ ، إِلَى اللَّحْظَةِ الَّتِي تَرَكَهَا فِيهَا عِنْدَ الشَّاطِئِ ، عَلَى أَمَلِ الْعَوْدَةِ إِلَيْها بِثِيَابٍ جَمِيلَةٍ وَفَرَسٍ تَرْكَبُها إِلَى الْقَصْر . وَكأَنَّمَا صَحَا مِنْ كَابُوسٍ ثَقِيل ، فَصَاحَ صَيْحَةً أَدْهَشَتِ الحَاضِرِينَ وَهُوَ يَقُول :

– " كَرِيمَة ! أَيْنَ أَنْتِ ؟ هَلْ تَصْفَحِينَ عَنّي ؟ "

ثُمَّ ارْتَمَى عِنْدَ قَدَمَيْها بَاكِياً مُنْتَحِباً ...

أَمَّا السَّيِّدَةُ الشَّقْرَاءُ ، فَقَدْ تَوَارَتْ عَنِ الْأَنْظَار عِنْدَ صَيْحَةِ أَنْوَر، وَلَمْ تَكُنْ إِلاَّ السَّاحِرَةَ شَفِيعَةَ العِمْلاق .

وَأَكْمَلَ الْقَوْمُ مِهْرَجَانَهُمْ فِي غِبْطَةٍ وَفَرَح ، وَزُفَّتْ كَرِيمَة فِي صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِي إِلَى أَنْوَر ، وَاسْتَمَرَّتْ الْمَآدِبُ يَوْمَيْنِ مُتَوَاصِلَيْن .

وَعَاشَ الْعَرُوسَانِ حَيَاةً سَعِيدَةً هَانِئَة ، وَسَجَّلَ التَّارِيخُ لِكَرِيمَة ، كَثِيراً مِنَ الْأَعْمَالِ الْمَجِيدَةِ فِي خِدْمَةِ أَهْلِ الْقَرْيَة ، حَتَّى خَلَدَ ذِكْرُهَا بَيْنَهُمْ مُنْتَقِلاً مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيل ، وَمِنْ عَصْرٍ إِلَى عَصْر .

وَعَلَى سَبِيلِ الاعْتِرَافِ بِجَمِيلِهَا ، أُقِيمَ لَهَا تِمْثَالٌ لا يَزَالُ إِلَى الْيَوْمِ مُرْتَفِعاً فَوْقَ بَقَايَا ذلِكَ القَصْرِ الْقَدِيم ، وَهُوَ يُمَثِّلُ سَيِّدَةً حَسْنَاءَ تَحْمِلُ فِي كَفِّهَا خَمْسَ كُرَاتٍ صَغِيرَة ...

أسئلة فى القصة

١- لماذا أَطلق أَهل القرية على أَنور لقب شجاع ؟
٢- كم كان عمر أَنور عند بدءِ رحلته ؟ وكم كان عمره عند العودة ؟
٣- أَين نزل أَنور بعد تحطم السفينة ؟ ومن قابل أَولاً ؟
٤- كيف استطاع أَنور أَن ينظف الإِسطبل وأَن يأْتي بالحصان من فوق الجبل ؟
٥- ماذا أَخذت كريمة من بيت العملاق عندما هربته منه هي وأَنور ؟
٦- ما الذي منع العملاق من أَن يلحق بالهاربين ؟
٧- لماذا طلب أَنور من كريمة عندما نزلا بالشاطئ أَن يغيب عنها قليلاً ؟
٨- ماذا طلبت المرأَة العجوز من كريمة لتسمح لها بالمبيت عندها ؟
٩- كيف تحول كوخ المرأَة العجوز إِلى بيت من الذهب ؟
١٠- ماذا كانت كريمة تقول عندما كانت تستخدم كلاًّ من الكرات الثلاث ؟
١١- ما الذي منع أَنور من أَن يعود إِلى كريمة ؟
١٢- ماذا جرى لمركبة أَنور والسيدة الشقراء ؟ وكيف تم إِصلاحها ؟
١٣- من الذي دعا كريمة إِلى حفل زواج أَنور ؟ ولماذا ؟
١٤- كيف عرف أَنور حبيبته كريمة ؟
١٥- ماذا صنع أَهل القرية لتخليد ذكرى كريمة ؟
١٦- اكتب هذه القصة بأُسلوبك وإِنشائك .